# تصدير

بقلم

## معالى الأستاذ محمد أديب العامرى

كتاب « رسائل إلى ولدى خالد » للأستاذ «البدوى الملثم » ( يعقوب العودات ) يذكرنى توًّا برسائل طالعناها وتأثرنا بها . يذكرنى بكتب ثلاثة عانى أصحابها جميعا الأساليب الأدبية ، وحلقوا فيها ؛ وهم اللورد تشستر فيلد السياسى البريطانى المشهور ، صاحب كتاب « رسائل اللورد تشستر فيلد إلى ولده » . وأحمد حافظ عوض الصحفى المصرى ، صاحب كتاب « من والد إلى ولده » . وخليل السكاكينى الأديب الفلسطينى صاحب كتاب « سرى » .

وكتابة الرسائل على هذا النحو — من والد إلى ولده — تكاد تكون نوعاً من الاعترافات . وهى على ندرتها ، ندرة الاعترافات ، تجذب القارئ جذباً خاصًّا ، وتغريه بالمطالعة والتأمل ، ويلى أدب الاعترافات والرسائل اليوم آداب المذكرات الخاصة والتراجم الذاتية ، فكلاهما جذاب طريف ، وبخاصة إذا كانت المذكرات أو التراجم صادقة صريحة .

وإنى واثق أن « البدوى الملثم » حين كتب كتابه هذا لم يتوسم أسلوب أى من هؤلاء الكتاب ، أو يفكر فى اتباعه ، وإنما أرسل

قلمه على سجيته . وسطر ما أملته عليه حوادث العصر . على نموه ونضجه . أجل جاءت رسائل الأديب « البدوى » ذات طابع خاص به مطابق لشخصيته : متسق مع رأيه الذى يعرفه من اتصل به أو صادفه .

إن مضمون الرسائل متصل بحياتنا الراهنة . وأدبنا المعاصر . ومشكلاتنا اليومية . وكما أسلفت . فإن مظاهر الاعتراف فيها والجدة والتنوع تحمل القارئ على المضى فى المطالعة مضيًّا ينتهى به إلى الفراغ من قراءة الرسائل جميعاً فى جلسة واحدة أو اثنتين .

وبعد : فإن فى كل أديب أو فنان نزعة إلى الإفضاء بذات نفسه إلى غيره . ولقد يعد بعضهم هذا ضعفاً ، ولكن فيه القوة كل القوة . والحقيقة أنه كلما كان الفنان أكثر إفاضة فى الإعراب عن نفسه بصدق وإخلاص وعمق ، كان أقوى وأقدر ، وكان نصيبه من العظمة أكثر . إن جرأة المرء على نفسه أشد أنواع الجرأة . وكلما كان الفنان أقدر على أن يشرك — فيما يفضى به — قراء من سائر الطبقات والأمم ، كان حظه من التقدير والخلود أعظم ، وذلك بالطبع إذا كان ما يفضى به ذا غناء وجدة .

فإذا اطلعنا على رسائل « البدوى الملثم » إلى ولده « خالد » رأينا فيها شيئاً كثيراً من الاعترافات التى أشرت إليها ، ولكنها تخلى السبيل أحياناً كثيرة كذلك إلى المبادئ العالية والتوجيهات السديدة التى يعرب عنها لولده وللقراء .

هو يقول مثلا :

« إن أباك يا خالد يفهم ( الدين ) فهماً بعيداً عن مفهوم الذين اتخذوا من ( الدين ) سلعة وراحوا يتاجرون بها ... إنهم فى واد ... وأباك فى واد آخر » .

وهو يقول :

« من أغلى أمانيي وأشهاها أن أراك تحمل شهادة جامعية عالية ، وتؤسس أسرة ، وتختار شريكة حياتك . وشريكة حياتك التى أتمناها لك هى أن تكون عربية تشعر شعورك وتحس حسك ... فحاذر يا بنى الفتاة الأجنبية إذا كنت تنشد الراحة وتستهدف السعادة » .

أما المبادئ التى يعتنقها ويقدمها لك ، فى تضاعيف رسائله : على أنها عقيدته التى يود لو يعتنقها ولده كذلك ، فمنها إغاثة الملهوف ، ومحاربة التمييز العنصرى ، والتحذير من سطوة اليهود فى العالم ، وحسن معاملة العرب الفلسطينيين الذين أساء العالم إليهم ، والبلاء الذى يعانيه اللاجئون الفلسطينيون ، والخطأ الذى ارتكب فى إصدار وعد بلفور وتنفيذه . كما يشير فى صورة حافزة إلى الأمل المعقود مع الأجيال العربية الصاعدة ، وإلى أسباب الأمل الواسع فى نهضة الأمة العربية ، وخروجها من النكسات التى تردت فيها . هذا إلى ما فى الرسائل من إثارة للرغبة فى الفضائل ، والعزوف عن الرذائل ، فهى لذلك أدب صحيح ذو غاية سامية وهدف نبيل . من ذلك ما يكتب « البدوى » لولده فى مطلع الرسائل عن ذكرى ميلاد السيد المسيح :

« لا تصدق أن هناك "مجداً" و"سلاماً" و"مسرة" مادام الباطل يسود الحق . والضلال يهيمن على الهدى . والظلام يطغى على النور » .

وعن أسباب القلق والتعس فى حياة الناس الحاضرة يقول المؤلف :

« الواقع يا بنى أن نزوع الإنسان إلى مسايرة المدينة الحديثة وعزوفه عن حياة البساطة يفضيان إلى هذا الشقاء » .

وقال : « أتطلع إلى كل بقعة من بقاع العالم فأجدها تعيش فى اضطرابات وثورات . الأمر الذى يحملنى على الكفر بالبشرية الوالغة فى الدماء » .

وقال : « بعد طواف ذهنى خرجت بنتيجة واحدة : وهى أن المعاملة اللا إنسانية التى يلقاها العرب الفلسطينيون : والتى تتنافى مع أبسط قواعد حقوق الإنسان تحمل العربى على الكفر بالمثل العليا ... ومالم يصعد العرب نضالهم فستحقق إسرائيل أهدافها الخبيثة » .

ويستطرد فى رسالة أخرى يقتبس كلام أحد الكتاب الإفرنج :

« إن الفلسطينيين أصبحوا يشكلون قوة سياسية كبيرة من الصعب تطويقها ؛ وفضلا عن ذلك فهى قادرة على الحركة ومعارضة الأنظمة العربية . بالإضافة إلى مقدرتها على وضع الشرق الأوسط فى وضع ثورى » .

إلى آخر ذلك من الأفكار التى تتجه إلى زيادة الأجيال الجديدة زيادة سليمة تخدم فيها مجتمعاتها وأوطانها والإنسانية جميعاً .

فإذا عدنا إلى رسائل اللورد تشستر فيلد إلى ولده قدمت لك النموذج

التالى : « إن المداهنة المستمرة للناس ، والموافقة الدائمة على آرائهم ، تحط من قدر الإنسان ؛ كما أن المخالفة المستمرة . والمناقشة النصائحة ، تقزز النفس ، فاطرح رأيك باعتدال وتواضع تحفظ لنفسك عزتها وكرامتها » .

« ولدى العزيز ، غالباً ما أعلمتك أن أشد مبادئ الشرف والفضيلة هى وحدها التى تنشئ لك حرمتك وقيمتك فى نظر الناس ، وأن العلم والمقدرة وحدهما اللذان يولدان الإعجاب بك والحفاوة بشخصك » .

وقال : « لم يكن كاتو يفكر أنه ولد لنفسه فقط ، ولكن للناس كافة ، فخبرنى إذن يا بنى هل تتصور أن الإنسان إنما ولد لمتعة نفسه وفائدتها فقط . وهل هو مجبر على الجود بالخير للمجتمع الذى يعيش فيه وللبشرية عامة » .

وقال أحمد حافظ عوض لولده :

« لا أنكر عليك أنه لا يبعد أن تجد نفسك — وقد بلغت فى يوم من الأيام مبلغ الرجال الذين عركوا الدهر ، واختبروا الناس ، ودرسوا الحياة دراسة كاملة — على خلاف معى فى بعض الآراء التى أعرضها عليك وإنما أرجو منك أن تتصور أولا أننى فيما أصفه لك من القضايا العامة لا يصح أن يوجد بينى وبينك — أو بين أحد من الذين تقدموا لطرق هذا الباب — خلاف . وأما فى تفاصيل الأحكام على الأمور والناس والظروف فإن كثيراً منها قد يظهر فى أشكال شتى باختلاف الظروف والزمان والمكان » .

وقال المرحوم السكاكينى تحت عنوان « من أراد الاعتداء على فليجرب » :

« أنا لا أعتدى على أحد . ولكن أحتقر نفسى كل الاحتقار إذا اعتدى على أحد ، لأن الاعتداء لا يقع إلا من جانب القوى على الضعيف ، أو من جانب ذى الدهاء على الغبى ؛ وإنى لأكره كل الكره أن أكون ضعيفاً ، وإنى لأكره كل الكره أن أكون غبيا » .

عمان – الأردن

**محمد أديب العامرى**